

# الكلام على أول سورة الفتح

وهو تصدير للإمام جلال الدين السيوطي

(849 – 911 هـ)



د. عبد الحكيم الأنيس

الألوكة

[www.alukah.net](http://www.alukah.net)

(٣)

الكلام على أول سورة الفتح  
وهو تصدير

للإمام جلال الدين السيوطي

(١٤٩ - ٩١١ هـ)

تحقيق ودراسة

د. عبد الحكيم الأنيس



## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا تصدير أي درس ألقاه الإمام السيوطي حين صُدِّر للتدريس، في الكلام على أول سورة الفتح، وكان قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره بقليل، وأتناول الكلام عليه في النقاط الآتية:

## - وصفه:

بدأ السيوطي هذا الجزء بحديثه عنه، وهو أنه تصدير ألقاه يوم أجلس للتدريس بحضرة شيخه علم الدين البلقيني، وجماعة من القضاة والأفاضل سنة ٨٦٧ هـ، ثم ذكر ما طالعه على هذا الدرس، وافتتحه بخطبة الشافعي في كتابه الرسالة، ثم ذكر أن الكلام على هذه الآيات سيكون من خمس جهات، هي سبب النزول، وعلم اللغة، وعلم الإعراب، وعلم المعاني، وعلم التفسير.

ونجد في آخر الجزء قوله: «وأما من جهة علم التصوف»، وينقطع الكلام بدون ذكر شيء.

وقد تكلم فيه على الآيات الثلاث الأولى من سورة الفتح، وخص مغفرة ما تقدّم وما تأخر برسالة سماها «المحرر»، فالعملان يكمل أحدهما الآخر.

- توثيق نسبته:

ذكره المؤلف لنفسه في التحدث بنعمة الله<sup>(١)</sup>، وحسن المحاضرة<sup>(٢)</sup>،  
وفهرست المصنفات<sup>(٣)</sup>.

- عنوانه:

سماه المؤلف في الكتب المذكورة: الكلام على أول سورة الفتح، ووصفه  
بأنه تصدير، وهو ما أثبتته على الغلاف.

- مصادره:

ذكر السيوطي مصادره في المقدمة، وهي هذه:

- الرسالة للشافعي (ت: ٢٠٤ هـ).

- الصحاح للجوهري (ت: ٣٩٣ هـ).

- أسباب النزول للواحدي (ت: ٤٦٨ هـ).

- الكشاف للزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ).

(١) (ص ١١٧).

(٢) (١/٢٩٣).

(٣) انظر الفهرست ضمن بهجة العابدين (ص ١٨١)، وقد جاء برقم (٣٧)، وذكر بعده  
«المتوكلي» ولكن المحقق أدمج بينها فصار النص هكذا: «الكلام على أول سورة  
الفتح، وهو تصدير المتوكلي!» والصواب أن المتوكلي كتاب آخر.

- تفسير ابن العربي، ولا أدري مَنْ يقصد: القاضي أبا بكر (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ)، أو محيي الدين ابن عربي (المتوفى سنة ٦٣٨ هـ)؟! والأول أرجح فهو الذي يذكره وينقل عنه في كتبه كالإتقان مثلاً.
  - ينبوع الحياة لابن ظفر (ت: ٥٦٥ هـ).
  - تفسير السجاوندي (كان حياً في منتصف القرن السادس).
  - تفسير الرازي (ت: ٦٠٦ هـ).
  - البحر لأبي حيان (ت: ٧٤٥ هـ).
- ولابد من الإشارة إلى أن ابن العربي وابن ظفر والسجاوندي لم يذكروا داخل النص.

### - تاريخ التأليف وظروف الإلقاء:

صرّح المؤلف أنه ألقاه يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة ٨٦٧ هـ، فيكون قد أعدّه في تلك الأيام. وقد تحدّث عن ظروف إلقائه فقال: «ثم إن شيخنا المذكور - علم الدين البلقيني - اقتضى رأيه الشريف أن يجيزني بالإفتاء والتدريس، فأجازني بذلك في شوال سنة ستّ وستين، وكتب لي بخطه إجازة... فلما أجازني شيخنا شيخ الإسلام بالتدريس استأذنته في أن أباشر الدرس بنفسي وأن يشرفني بالحضور عندي في أول يوم كما جرت به العادة فأجاب إلى ذلك، وعيّن لي يوماً يحضر فيه، فذهبتُ ورتبتُ كراسة فيها الكلام على أول سورة الفتح بحسب ما وصلت إليه قدرتي إذ ذاك، وافتتحتها بخطبة الرسالة للإمام الشافعي رضي الله عنه، اقتداءً بشيخنا شيخ الإسلام، فإنّه كان إذا حضر دروس «الخشابية» يفتح درسه بها اقتداءً بوالده وأخيه، وهما كانا

يفعلانه تبركاً . وأعلمتُ النَّاسَ بأنَّ شيخ الإسلام البُلُقيني يحضر إجلاسي في يوم كذا، فلم يصدِّق أكثر الحسدة، وذهبتُ إلى مقام الإمام الشافعي رضي الله عنه فدعوتُ عنده وتوسلتُ به في المعونة، فلمَّا كان يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة سبع وستين، حضر شيخ الإسلام البُلُقيني ومعه ولده وربيبه، ونوابه في الحكم، ومن الفضلاء والطلبة خلقٌ كثير، ومن الحسدة والأعداء أكثر، فامتلاً بهم الجامع، فصلَّى شيخ الإسلام التحية في المحراب، وصليتُ خلفه، وجلستُ بين يديه والطيلسانُ مُرخى على عينيه فقال: أين المدرِّسُ؟ فقيل: ها هو ذا. فقال: تعال هنا. فأجلسني عن يمينه، وجلس ربيُّه القاضي صلاح الدين عن يساره، فقال: هنا ربَّعةٌ<sup>(١)</sup> تقرأون فيها؟ فقيل: لا. فقرأ سورة تبارك والإخلاص والمعوذتين والفاحة ودعا داع. ثم قلتُ: دُستوركم<sup>(٢)</sup>. فقال: قل. فافتحتُ بخطبة الإمام الشافعي - رضي الله عنه - فسرَّ بذلك وأعجبه، ثم قرأتُ أوَّل سورة الفتح، فأعجبه أيضاً، ثم سردتُ الكلام الذي رتبته. واستمررتُ بعد ذلك ملازماً لدروس شيخنا شيخ الإسلام، فلم أنفك عنه إلى أن مات<sup>(٣)</sup>.

### - وصف النسخة:

وقفتُ على نسخة واحدة ضمن مجموع في مكتبة الأزهر، برقم (٩٧٩) خاص) و(٤٦٢٤٢ عام)، وهو يحمل الرقم (٢١) ضمن رسائل هذا المجموع، ويقع في الورقة (٨١).

(١) قال الزمخشري في أساس البلاغة (ص ٢٧١): «فتح العطار ربَّعته وهي جونة الطيب، وبها سُمِّيت ربعة المصحف».

(٢) أي أطلب إذنكم .

(٣) بهجة العابدين (ص ٦٩-٧١).



وقد كتب على غلاف المجموع أنه بخط السيوطي، ولا يصح ذلك، كما أسلفت في مقدمة «الأزهار الفائحة»، ولما سيأتي في التعليق.

### - خطة التحقيق:

جريت على خطتي المعهودة في هذه الرسائل.

### - تنويه:

أول من نبه إلى هذا التصدير شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق، وقد استخرجه وألقاه درساً بين يدي ملك مصر فاروق الأول، وضيف له هو الملك عبد العزيز آل سعود، ثم نشر في مجلة الأزهر مع تعليقات للشيخ عليه<sup>(١)</sup>، فله الفضل في ذلك<sup>(٢)</sup>، وقد قابلت نصه بالمخطوط، ونظرت في التعليقات فظهر لي أن الشيخ ترك بعض الكلمات، وقد يتصرف، وغير «صم» إلى «صلى الله عليه وسلم»، ولم يشر، وترجم لابن العربي على أنه الشيخ الصوفي، وهو ترجيح منه فليس في النص ما يدل على المقصود، وترجم للضحاك

(١) انظر مجلة الأزهر، الجزء الأول من المجلد ١٧، بتاريخ المحرم سنة ١٣٦٥ هـ-١٩٤٥ م (ص ٥٥-٦٣).

(٢) ثم أعاد هذا النشر منصور علي رجب في كتابه «الأزهر بين الماضي والحاضر» (ص ٣٣-٣٩). وقد دلني على هذا التصدير ونشره في هذين الموضوعين فضيلة الشيخ مجد مكّي جزاه الله خيراً.

وحين زرت مكتبة الأزهر يوم الخميس ٣/ ٥/ ١٤٣١ هـ طلبت تصوير المخطوط، وتم ذلك بتوجيه رئيس الإدارة المركزية للمكتبة سعادة الأستاذ مهدي شلتوت فله الشكر.



- وهو ابن مزاحم - على أنه الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الحافظ،  
المتوفى بالبصرة سنة ٢١٢ !

ونقل ما كتب على غلاف المجموع من أنه بخط السيوطي، ولم يعلق على ذلك<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) ثم أعاد نشر هذا التصدير الدكتور مجاهد توفيق الجندي في مجلة الأزهر أيضاً سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، وكتب في أوله قوله: «عثر على التصدير وقدم له الدكتور مجاهد توفيق الجندي» كما في الجزء الرابع من السنة (٥٥)، (ص ٤٨٨-٤٩٦) ! وقد تابع الشيخ مصطفى عبد الرازق في عمله وجل تعليقاته، وزاد عليه بنشر صورة من المخطوط.

وقد شارك الجندي في الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع جامعة الأزهر سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م احتفاءً بذكرى مرور خمسة قرون على وفاة السيوطي، شارك بكلمة عنوانها «نظام الدراسة والامتحان وتخرج الأساتذة والإجازات العلمية في مصر السيوطي»، جاء فيها قوله في كلامه على مخطوطات السيوطي في مكتبة الأزهر (١/ ٧٩-٨٠): «وقد لفت نظري في مجموعة السيوطي (بخط يده) رقم ٢٠٤ في متحف المكتبة تصديراً [كذا] له يقع في اثنين وخمسين سطراً، هو أصغر مؤلفات السيوطي، وهو محاضرة في الثلاث آيات الأولى من سورة الفتح، ألقاها بجامعة شيخون بالقاهرة أمام جمع من الشيوخ والأفاضل، وحصل بها على إجازة في التفسير، ويعتبر بحثاً جديراً [كذا] في التربية الإسلامية، استخراج صورته الخطية من مكتبة الأزهر، وترى النور، ويصبح في متناول القراء لأول مرة منذ كتابتها بخط الشيخ السيوطي [كذا] رحمه الله». وفي هذا الكلام أكثر من نظر، ومن ذلك أن حصول السيوطي على الإجازة كان قبل إلقاء الدرس لا بعده !







(٣)

الكلام على أول سورة الفتح  
وهو تصدير

للإمام جلال الدين السيوطي  
(١٤٩ - ٩١١ هـ)

النص المحقق



## تصدير

تصدير مبارك ألقيته يوم أُجِلستُ للتدريس بجامع شيخو رحمه الله تعالى، بحضرة شيخنا قاضي القضاة شيخ الإسلام علم الدين البلقيني<sup>(١)</sup> وجماعة من القضاة والأفاضل، وذلك يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة ٨٦٧<sup>(٢)</sup>، وقد مضى من عمري ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام<sup>(٣)</sup>.

الحمد لله، طالعتُ على هذا التصدير «الكشاف»، و«تفسير» الإمام الرازي، و«تفسير» الإمام ابن العربي، و«البحر» لأبي حيان، و«أسباب النزول» للواحدي، و«تفسير» السجاوندي<sup>(٤)</sup>، و«ينبوع الحياة» لابن ظفر<sup>(٥)</sup>، و«صحاح» الجوهرى.

والخطبة إلى آخر الصلاة من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه .

(١) هو الإمام علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني، ولد سنة ٧٩١ هـ. وتولى القضاء الأكبر في سنة ٨٢٦ هـ، ألف تفسير القرآن، توفي سنة ٨٦٨ هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٢٠).

(٢) يوافق ٢٧ يوليو سنة ١٤٦٣ م. أفاده الشيخ مصطفى عبد الرازق.

(٣) لأن السيوطي ولد بالقاهرة ليلة مستهل رجب سنة ٨٤٩ الموافق ٣ أكتوبر سنة ١٤٤٥ م. أفاده الشيخ مصطفى كذلك.

(٤) هو المفسر المقرئ النحوي محمد بن طيفور، أبو عبد الله السجاوندي الغزنوي، له تفسير حسن، كان في وسط المئة السادسة. انظر: طبقات المفسرين (٢/ ١٦٠).

(٥) هو حجة الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي الصقلي، توفي بحماة سنة ٥٦٥ هـ. انظر: طبقات المفسرين (٢/ ١٧١).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، والحمد لله الذي لا يُؤدِّي شكرُ نعمةٍ من نعمه إلا بنعمةٍ منه، توجب على مؤدِّي ماضي نعمه بأدائها نعمةً حادثةً يجبُ عليه شكره بها، ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه.

أحمده حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، وأستعينه استعانة مَنْ لا حول له ولا قوة إلا به. وأستهديه بهداه الذي لا يضل به<sup>(١)</sup> مَنْ أنعم به عليه. وأستغفره لما أزلفت<sup>(٢)</sup> وأخرت استغفار مَنْ يقر بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجي منه إلا هو. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله.

صلى الله عليه وعلى آله كما صلى على إبراهيم وآل إبراهيم إنه حميد مجيد<sup>(٣)</sup>؛ ورضي الله عن السادة الصحابة أجمعين، وعن إمامنا الإمام الشافعي المطلبي وسائر الأئمة، وعن سيدنا ومولانا شيخ الإسلام ووالده شيخ الإسلام، وسائر مشايخنا، والسادة الحاضرين، وجميع المسلمين<sup>(٤)</sup>.

(١) ليست في الرسالة .

(٢) في الأصل: زلفت .

(٣) الرسالة (ص ٧-٨)، ثم (ص ١٧).

(٤) جاء هنا في الأصل: « قوله سيدنا ومولانا، أقول هو شيخنا علم الدين البلقيني ابن الشيخ سراج الدين ». ومن الواضح أن هذا كان تعليقا أدخله الناسخ في المتن!



أمَّا بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ۝٢﴾ وَيُتِمَّرَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٣ وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٤﴾ (٢).

الكلام على هذه الآية من جهات:

الأولى: سبب النزول ومكانه وزمنه. الثانية: علم اللغة. الثالثة: علم الإعراب. الرابعة: علم المعاني. الخامسة: علم التفسير (٣).

أقول: قدّمتُ أولاً الكلام على النزول وما يتعلق به، ومناسبة تقديمه ظاهرة، وثبّيتُ باللغة وقدمتها على الإعراب، لأنها تبين المعنى، والإعراب فرعُه، ومتوقف على معرفته، وثلثتُ بالإعراب وقدمته على المعاني الذي هو ثمرة الإعراب، ثم تلاه المعاني، ولما انتهيت من الأدوات ذكرتُ المقصود بالذات من الآية، وهو التفسير وبيان المراد، ثم ختمتُ بالنهاية وهو علم التصوف، وهذا ترتيب حسن لطيف (٤).

(١) اكتفى في الأصل بهذا، وقال: إلى عزيزاً .

(٢) من سورة الفتح: الآيات ١-٣ .

(٣) جاء هنا في الأصل: « قولي الكلام على هذه الآية من جهات: الأولى: سبب النزول، الثانية إلى آخره »! والظاهر أنه عنوان جانبي أدرجه الناسخ في المتن.

(٤) وهذا تصور ممتاز عن منهج الإلقاء والتأليف، يدلّ على وعي مبكر وفكر منظم.

## أما سبب النزول وما يتعلق به:

فقال الإمام أبو الحسن الواحدي رحمه الله: رُوي عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>، قال المشركون: كيف ندخل في دينك وأنت لا تدري ما يُفعل بك وبمن اتبعك؟ فنزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ إلى آخره<sup>(٢)</sup>.

قوله: رُوي عن ابن عباس .. إلخ. أقول: قول ابن عباس هذا حكمه حكم المرفوع.

ورُوي أنه لما نزل: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ قال له أصحابه: هنيئاً لك يا رسول الله الجنة لك! فما لنا؟ فنزل: ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ إلى آخره<sup>(٣)</sup>، ولما نزل: ﴿ وَيُبَدِّلْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ قالوا كذلك، فنزل: ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup>، ولما نزل: ﴿ وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾، قالوا كذلك، فنزل: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) من سورة الأحقاف: الآية ٩ .

(٢) أسباب النزول (ص ٦٠٨) باختلاف يسير .

(٣) الحديث إلى هنا بدون لفظ «الجنة لك» رواه البخاري (٤/ ١٥٣٠) برقم (٣٩٣٩) . وانظر: الدر المنثور (١٣/ ٤٧١) .

(٤) من سورة المائدة: الآية ٣ . وفي المذكور نقاش .

(٥) من سورة الروم: الآية ٤٧ . وهي مكية ، وأما آية الفتح فقد نزلت في العودة من الحديبية !

ورُوي أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ إلى آخره نزل بين مكة والمدينة في شأن الحديبية. قال أنس رضي الله تعالى عنه: لما رجعنا من الحديبية، وقد حيل بيننا وبين نُسُكنا ونحن بالحزن والبكاء، أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ إلى آخره، فقال رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>: «لقد أنزل عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «مما طلعت عليه الشمس»<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيح أنه نزل ليلاً.

وأما ما يتعلق بالآية من جهة اللغة:

فقال الإمام أبو نصر الجوهري في صحاحه:

«الفتح يطلق على النصر وعلى الحكم، ومنه: ﴿أَفْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٤)</sup>»، وعلى الماء يجري من عين أو غيرها<sup>(٥)</sup>.

والمبين من أبان الشيء، إذا أوضحه، ومنه بان، أي اتضح، واستبان أي ظهر، واستبنته أي عرفته، والتبيين الإيضاح والوضوح أيضاً. والبيان الفصاحة وما به يتبين الشيء من دلالة وغيرها. ومبين أيضاً اسم ماء، قال الشاعر:

يا ربيّ اليوم على مبين .....

(١) كتبها الناسخ هنا وفي غير موضع: صم .

(٢) رواه مسلم (٣/١٤١٣) برقم (١٧٨٦). وآخرون. انظر: الدر المنثور (١٣/٤٧١).

(٣) رواها البخاري (٤/١٥٣١) برقم (٣٩٤٣).

(٤) من سورة الأعراف: الآية ٨٩ .

(٥) ينظر: الصحاح (١/٣٨٩).

أي ياربيّ ناقتي على هذا الماء<sup>(١)</sup>.

والمغفرة من الغفر وهو الستر والتغطية، ومنه غفرت المتاع جعلته في الوعاء. والمَغْفَرُ زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، ويقال من هذه المادة: استغفر الله لذنبه ومن ذنبه وذنبه، والفعل غَفَرَ يغفر، وجاء في لغة غَفَرَ يغفر، والمصدر مغفرة وغفراناً وغفراً، وجاء في لغة غَفَرًا<sup>(٢)</sup>.

والذنب الجرم، والفعل منه أذنب<sup>(٣)</sup>.....<sup>(٤)</sup>.

والنعمة اليد والصنيعة، وكذلك النُعْمَى والنعماء والنعيم. ويقال: فلان واسع النعمة، أي واسع المال<sup>(٥)</sup>.

والهدى يطلق على أمور:

أحدها: خَلَقَ الاهتداء، ومنه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾<sup>(٦)</sup>.

الثاني: الدلالة بلطف، ومنه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: الصحاح (٥/ ٢٠٨٢-٢٠٨٣).

(٢) ينظر: الصحاح (٢/ ٧٧٠-٧٧١).

(٣) ينظر: الصحاح (١/ ١٢٩).

(٤) هنا في الأصل فراغ بمقدار كلمتين.

(٥) ينظر: الصحاح (٥/ ٢٠٤١).

(٦) من سورة القصص، الآية ٥٦.

(٧) من سورة الشورى، الآية ٥٢.

الثالث: التقدم، ومنه هوادي الخيل لتقدمها.

الرابع: التبيين، ومنه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴿١﴾ كَذَا قِيلَ، ويظهر لي أن هذا متحد مع الثاني.

الخامس: الإلهام، ومنه: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٢﴾﴾ أي ألهم لمصاحبه.

السادس: الدعاء، ومنه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٣﴾﴾، أي داع.

والصراط هو الطريق الواضح، والصاد لغة قريش، وعامة العرب يجعلونها سيناً، وكعب يجعلونها زايماً، وأهل الحجاز يؤنثونه كالطريق والسبيل والزقاق والسوق، وبنو تميم يذكرون هذا كله. وجمعه صُرُط ككتاب وكُتِبَ. والمستقيم ضد المعوج.

والنصر مصدر نَصَرَهُ على عدوه ينصره، والاسم منه النَّصْرَة. ويقال: نصر الغيث الأرض أي غاثها. ونصرت الأرض أي مطرت (٤).

والعزير هو الغالب، ويطلق على المحتاج إليه القليل الوجود.

(١) من سورة فصلت، الآية ١٧ .

(٢) من سورة طه، الآية ٥٠ .

(٣) من سورة الرعد: الآية ٧ .

(٤) ينظر: الصحاح (٢/ ٨٢٩).

وأما ما يتعلق بها من جهة الإعراب:

فقوله ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ اختلف في اللام هنا، فقال صاحب «الكشاف» رحمه الله: للتعليل. ثم قال: فإن قلت: كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة؟ قلت: لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة، وهي: المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز.

وأجاب بجواب آخر، وهو أنه يجوز أن يكون فتح مكة، من حيث إنه جهاد للعدو، سبباً للغفران والثواب<sup>(١)</sup>.

قوله: وأجاب.. إلخ، أقول: هذا الجواب على تسليم أنه جعل علة<sup>(٢)</sup> للمغفرة.

وأجاب الإمام فخر الدين بجوابين غير هذين<sup>(٣)</sup>.

وقيل: اللام هنا للعاقبة؛ والمراد أن الله فتح لك لكي يجعل لك علامة لغفرانه لك.

وقيل: هي لام القسم، وكسرت لحذف النون من الفعل لشبهها بلام كي.

ورُدَّ هذا الوجه بأن لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها، ولو جاز هذا لجاز: ليقوم زيد في معنى: ليقوم زيد. قال أبو حيان في «البحر» مجيباً

(١) انظر: الكشاف (٤/ ٣٣٢).

(٢) في الأصل: مكة. وهو تحريف.

(٣) انظر تفسيره (٧٩/ ٢٨).

عن هذا الردّ: أما الكسر فقد علّل بأنه لشبهه بلام كي، وأمّا النصب فله أن يقول: ليس هذا نصباً، لكنها الحركة التي تكون مع وجود النون بقيت بعد حذفها دلالة على الحذف.

ثمّ قال: وبعد، فهذا القول ليس بشيء، إذ لا يحفظ من كلامهم والله لنقوم، ولا بالله ليخرج زيد، بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل مفتوحاً<sup>(١)</sup>.

وأما ما يتعلق بها من جهة المعاني:

ففي قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾، وقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ التفات من التكلم إلى الغيبة، ونكتته أنه لما كان الغفران وإتمام النعمة والهداية والنصر يشترك في إطلاقها الرسول ﷺ، وغيره بقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، ولم يكن الفتح لأحد إلا للرسول، أسنده تعالى إلى نون العظمة تفخيماً لشأنه، وأسند تلك الأشياء الأربعة إلى الظاهر، واشتركت الخمسة في الخطاب له ﷺ، تأنيساً له وتعظيماً لشأنه، ولم يؤت بالاسم الظاهر، لأن في الإقبال على المخاطب ما لا يكون في الاسم الظاهر<sup>(٦)</sup>.

(١) البحر المحيط (٨/ ٩٠).

(٢) من سورة النساء، الآية ٤٨.

(٣) من سورة البقرة، الآية ٤٠.

(٤) من سورة البقرة، الآية ١٤٢.

(٥) من سورة الصافات، الآية ١٧٢.

(٦) قوله: «لما كان الغفران» إلى هنا من البحر المحيط (٨/ ٩٠).



وفي قوله: ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ إسناد العزة إلى النصر، وهو مجاز، فالعزيم حقيقة هو المنصور ﷺ، وقيل: فيه مجاز الحذف، والتقدير: «عزيزاً صاحبه». وأعيد لفظ الله في: ﴿وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ﴾ لما بعد عما عطف عليه، وليكون المبدأ مسنداً إلى الاسم الظاهر، والمنتهى كذلك<sup>(١)</sup>.

قوله: التفات إرخ، أقول: لم يذكر ذلك في «الكشاف»، وأشار إليه أبو حيان في «البحر» تلويحاً لا تصريحاً.

قوله: وقيل فيه مجاز الحذف، أقول: هذا من تعبيري وتصريفي.

وأما ما يتعلق بها من جهة التفسير:

قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ في المراد بالفتح هنا أقوال:

أحدها: فتح مكة، واختاره أبو بكر<sup>(٢)</sup> الرازي من الجميع<sup>(٣)</sup>، وأبو حيان<sup>(٤)</sup>.

والثاني: عام<sup>(٥)</sup> الحديدية عند انفكاكه منها.

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/٩٠).

(٢) كذا، والمذكور في ترجمته: أبو عبد الله. انظر: طبقات المفسرين (٢/٢١٦).

(٣) انظر: تفسيره (٢٨/٧٨).

(٤) انظر: البحر المحيط (٨/٨٩).

(٥) لعل الأولى أن يقال: صلح الحديدية. انظر تفاسير الآيات، ومنها تفسير أبي السعود

(٨/١٠٣-١٠٤).

والثالث - قاله مجاهد - : فتح خير، وفي بعض الآي<sup>(١)</sup> ما يدل عليه.

والرابع: قال الضحاك: المراد فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة والحجة والسيف، ولا فتح<sup>(٢)</sup> أبين منه، وأعظم، وهو رأس الفتوح كلها، إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو عنه ومشتق منه.

الخامس: قال غيره: المراد نصر الله<sup>(٣)</sup> على أهل مكة أنك تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت.

قوله: ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾:

قال ابن عباس: ما تقدم قبل النبوة، وما تأخر بعدها.

وقال غيره: ما وقع وما لم يقع، على طريق الوعد بأنه مغفور له.

وقال سفيان<sup>(٤)</sup>: ما تأخر: هو ما لم يعمل<sup>(٥)</sup>.

وقال آخر: المتقدم والمتأخر معاً ما كان قبل النبوة.

(١) في الأصل ما صورته: **بعض الآي**! وأثبتته الشيخ مصطفى عبد الرزاق: بعض الآي.

(٢) في الأصل: والفتح. وعلق الشيخ مصطفى عبد الرزاق عليه بقوله: لعله « ولا فتح » كما جاء في تفسير أبي السعود [٨ / ١٠٤].

(٣) بعدها كلمة لم أتبينها، وجعلها الشيخ مصطفى عبد الرزاق: تعالى . وليست كذلك.

(٤) هو الشوري كما في الكشف والبيان (٩ / ٤٢).

(٥) في الأصل: يعلمه !

وقال آخر: تأكيد للمبالغة كما تقول: أَحَبُّكَ مَنْ عَرَفَكَ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَكَ.

وقال آخر: ﴿ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ يعني من ذنب أبيك آدم وحواء، ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ذنوب أمتك.

وقال آخر: المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿ وَيُتَمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ﴾:

قيل: بالنبوة والحكمة.

وقيل: بفتح مكة والطائف وخيبر.

وقيل: بخضوع من استكبر.

والصحيح بدخول الجنة .

قوله: ﴿ وَهَدَيْكَ ﴾ المراد: يثبتك على الهدى كما في قوله ﴿ يَتَأَيَّمَا النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿ يَتَأَيَّمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا ﴾<sup>(٣)</sup>، وأمثال ذلك.

قوله: ﴿ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ المراد به هنا الإسلام .

(١) وانظر رسالة «المحرر» للمؤلف الآتية، ففيها تفصيل القول في هذه الآية.

(٢) من سورة الأحزاب، الآية ١ .

(٣) من سورة النساء، الآية ١٣٦، وقوله «آمنوا» لم تكن في الأصل، وقد أثبتها الشيخ مصطفى عبد الرازق.

وأما من جهة علم التصوف<sup>(١)</sup> ..

آخر الرسالة.

\*\*\*

---

(١) هنا في الأصل فراغ بحدود سطرين.

وقد قال الشيخ مصطفى عبد الرازق في مقدمته على هذا التصدير: «وإذا كان لم يصل إلينا ما كتبه السيوطي في تصديره عن التصوف، فإن بعض المؤلفين أشار في تحديد معاني الفتح إلى معنى هو أقرب إلى معاني الصوفية. قال الراغب في كتابه «المفردات في غريب القرآن» [ص ٦٢١]: «وقوله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، قيل: عنى فتح مكة، وقيل: بل عنى ما فتح على النبي ﷺ من العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب، والمقامات المحمودة التي صارت سبباً لغفران الذنوب»، ولعل هذا المعنى هو الذي عبّر عنه بعضُ المفسرين بالإلهام».

## المصادر

- الأزهر بين الماضي والحاضر لمنصور علي رجب، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة (١٩٤٦م).

- أساس البلاغة للزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق: مزيد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١ (١٩٩٨م).

- أسباب نزول القرآن للواحدي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، الرياض، ط ١ (١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م).

- الإمام جلال الدين السيوطي: الاحتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاته «بحوث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر: القاهرة، ١١-١٣ شوال ١٤١٣ هـ/ ٣-٥ أبريل ١٩٩٣ م»، نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، مطبعة إيت، الرباط (١٤١٦ هـ-١٩٩٥م).

- البحر المحيط لأبي حيان (ت: ٧٤٥ هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢ (١٤١١ هـ-١٩٩٠م).

- بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين (السيوطي) لعبد القادر الشاذلي (كان حياً سنة ٩٤٦ هـ)، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١، (١٤١٩ هـ-١٩٩٨م).

- التحدث بنعمة الله للسيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: اليزابث ماري سارتين، مطبعة جامعة كامبردج (١٩٧٢ م).
- تفسير أبي السعود (ت: ٩٥١ هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤ (١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م).
- تفسير الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، دار الفكر، بيروت (١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م).
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة (١٤١٨ هـ-١٩٩٨ م).
- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، تحقيق: عبد الله التركي ومركز هجر، القاهرة، ط ١، (١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م).
- الرسالة للشافعي (ت: ٢٠٤ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، تصوير دار الفكر، بيروت.
- الصحاح للجوهري (ت: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤ (١٩٩٠ م).
- صحيح البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، طبعة مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط ٥ (١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م).